دور المرأة في صدر الإسلام عصر الرســـول- صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين من سنة 1 إلى 40هجري / 622 – 660 م)

أ- عفاف علي امحمد أبو ملاســة ـ كلية التربية العجيلات ـ جامعة الزاوية

المقدمـــــــــــــة :

الحديث عن المرأة العربيـــة له أهمية خاصة، لِمَا لها من دورٍ فعَّال في الحياة، فقد أسهمت عبر العصور المتعاقبة بالمشاركة في صنع الحضارة في كافة مناحيها، ولا يستطع أحدًا أن ينكر لها هذا الدور، فقد شاركت في الحياة الثقافية، والاجتماعية، وفي الحروب، بل تعدَّى ذلك لتشارك في الحياة السياسية، وقد أظهر في هذا المجال حنكةً ومقدرةً، وحُسن تدبيرٍ.

وعندما جاء الإسلام الحنيف نظَّـــم كافة أمـــور الحياة دنيا ودينا، وأبقى للمرأة ما كانت تتمتع به من حقوقٍ، ومكانةٍ في المجتمع في العصر السابق للإسلام ، وأضفى على ذلك صِبغةً شرعيةً، وقانونيةً، وحارب ما كان يلحق بها من ظلمٍ وحيفٍ ـ أحيانًا ـ وجاء بسننٍ وتشريعاتٍ أخـــرى من شأنها أن تُعزِّز من مكانة المرأة، ودورها في الحياة العامة للمجتمع.

إشكالية البحث :

تعالج إشكالية هذه الدراسة بحسب طبيعتها موضوعًا، ألا وهو الكشف عن دور المرأة في صدر الإسلام.

تساؤلات البحث ؟

1 ـ هل استطاع الإسلام إنصاف المرأة، ووهب لها كافة حقوقها.
2. هل اقتصر دور المرأة على الإنجاب وتربية الأولاد.
3 .التعرُّف على النساء اللائي كان لهنَ دورًا بارزًا سواء سياسيًّا أو اجتماعيًّا.
4.هل استطاعتِ المرأة أن تثبت وجودها إلى جانب الرجل، خاصةً في الجانب الثقافي.

أهمية البحث :

لم يكنِ الهدف من الدراسة مجرد سرد أسماء النساء اللواتي أدَّينَ دورًا مُعينًا في المجتمع، سواء في عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو عصر الخلفاء الراشدين، بقدر البحث عن الظروف التي مهَّدت للمرأة لأن تُؤدي دورها، خاصة أنَّ

المـــــرأة جـــــزء من النسيج الاجتماعي، فهي الأم والأخت والزوجة والابنة ، وقد أنصفها الإسلام بإعطائها حقوقها كاملةً، حيث برزتِ العديد من الشخصيات النسائية وشاركتِ الرجال في السلم والحرب، ووقفت وقفةً جادةً إلى جانب أُسرهم، فالمرأة جديرة بالدراسة في جميع العصور.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الآتي:

1 التعرَّف على النساء في عهد الرسول - عليه الصلاة والسلام- ، وما قامت به من أعمال في معظم المجالات.

2 إبراز المكانة المرموقة التي تمتعت بها المرأة في ظل الإسلام.

3 .توضيح ما قامت به المرأة من أدوار في الحرب والسلم إلى جانب الرجل.

4 .التعرُّف على وضع المرأة في عصر الخلفاء الراشدين.

5 .إبراز دور المرأة الثقافي.

منهجية البحث :

اعتمدتِ الباحثة في هذا البحث على المنهج التاريخي السردي، وكذلك المنهج الوصفي الاستقرائي في الأحداث السياسية التي قامت بها المرأة.

خطة البحث :

وقد قُسِّـــــم البحث إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة . المبحث الأول ـ دور المرأة في الجانب السياسي ،والمبحث الثاني ـ دور المرأة في الحياة الاجتماعية ،والمبحث الثالث ـ دور المرأة في الحياة الثقافية.

المبحث الأول ـ دور المـــــرأة في الجانب السياســـــيّ:

قال - تعالى - : **(وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا)** [1]، وقال - سبحانه وتعالى - : **(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** [2]، وهذا يعني أنَّ الذكر والأنثى متساويين عند الله - سبحانه وتعالى - في الأعمال والجزاء. وهناك كثير من السور في القرآن الكريم التي تختص بأحكام النساء مثل النساء [3] والطلاق [4] والممتحنة[5] والمجادلة.[6]

فإذا كان الله قد أعلى قدرها في الدنيا ووعدها حســـــن الجزاء في الآخرة، فقد شجَّعها ذلك أن تُسهم في مجتمعها بما يناسب طبيعتها.

ونجد أنَّه من أعمق معاني التكريم والإيثار للمرأة من الله - عز وجل - أنَّه جعل إرساء دعائم الدّين الإسلامي على يد امرأة ، وهي السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية أول زوجات النبي - صلَّى الله عليه وسلم - وأول من آمـــن به وصدّقه ومثلت له الحماية الاقتصادية والتأييد المطلق والاستقرار الذي كان له أكبر الأثر في تبلور شخصية النبي - صلى الله عليه وسلم - وتمكَّنتِ الرسالة الإسلامية بفضلها من الترعـــرع باطمئنان في بيئة مُحاطة بالحماية والأمان.[7]

لقد تميَّزت السيدة خديجة بقوة الشخصية وعظم التأثير في أسياد قومها، فكانت ذات ثروةٍ وافرةٍ تستأجر الرجال في مالها، ولها كلمة مسموعة في قبيلتها، وقد قابل الرسول - صلى الله عليه وسلم - ذلك بأنَّه لم يتزوج غيرها ما دامت على قيد الحياة، وجزاها الله عز وجل بأنَّه أقرأها السلام وبنى لها بيتًا في الجنة.

ففي حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ : أَتَى جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: **" هَـــذِهِ خَدِيجَـــةُ قَدْ أَتَتْكَ بِإِنَاءٍ فِيهِ إِدَامٌ وَطَعَامٌ وَشَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّـــــــلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّـــةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ"** [8] ، وشـــرف الله المرأة بأن يكون أول شهداء الإســـلام امرأة هي سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر طعنها أبو جهل بحربه فماتت دون أن تحيد عن عقيدتها، رغم ما تعرضت له من شتى أنواع العذاب .[9]، وكان الرســـول - صلى الله عليه وسلم - يمرُّ بعمَّار وأمه وأبيه وهم يعذبون في صحراء مكة فيقول:" **صَـــبْرًا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ** " .[10]

وبلغ الحرص على العقيدة أوجه بترك النساء لأوطانهن وأهلهن والمهاجرة إلى الحبشة والطائف والمدينة من أجل أن يحافظنَ على عقيدتهنَ ؛ فهاجرت أم كلثوم بنت أبى معيط وكانت قد أسلمت قديمًا وبايعتِ الرســـــول - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة سيرًا على أقدامها، ضاربةً بذلك أروع الأمثلة على قـــوة الإيمان وثبات العقيدة، ولمَّا قدمت إلى المدينة تزوجها زيد بن حارثة فقتل عنها يوم مؤتة فتزوجها الزبير بن العوام ثم طلقها ، فتزوجها عبدالرحمن بن عوف ومات عنها ، فتزوجها عمرو بن العاص فمكثت عنده شهرًا ثم ماتت ، أي : أنه تزوجها أربعة من أشراف الرجال ممَّا يدل على شرفها وتمام عقيدتها.[11]

وقد زاد النبي - صلى الله عليه وسلم - من تشريف المرأة في تسمية البعض بأمهاتهم، وقد اشتهر عند العرب وغيرهم انتساب الأبناء لآبائهم، حتى حينما نهى الإسلام عن التبنِّي قال - تعالى - : **(ادْعُوهُـــــمْ لِآبَائِهِمْ)**، وفي صدر الإسلام كانت بعض الأمهات

أشرف من بعض الآباء فانتسب الأبناء إليهن ومن هؤلاء الإمام الفقيه عبد الله بن مسعود أول من جهره بالقرآن [12]، وأمهَ تسمَّى أم عبد من بنى زهرة [13]، أسلمت وبايعتِ وروتِ الأحاديث من النبي - صلى الله عليه وسلم - .[14]

ومن هؤلاء - أيضًا- شرحبيل بن حسنة ، وقد أسلمت حسنة بمكة وبايعت وهاجرت إلى الحبشة في الهجرة الثانية مع ابنها شرحبيل [15]. أما ابن أم مكتوم فهو عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة القرشي ، وكان ضريرًا ومُؤذنًا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع بلال، واشتهر باسم أمه لفضلها وسبقها في الإسلام[16] .

هذا، وقد اشتهرتِ المرأة المسلمة في صدر الإسلام بالشجاعة في الدفاع عن الإسلام ولدينا الكثير من الأمثلة والدلائل على ذلك. فمنها على سبيل المثال لا الحصر: (أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث بن عويمر الأنصارية)، التي كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ويسميها الشهيدة لأنَّه لمَّا غزا ببدر (2هـ / 623 م) قالت له أذن لي فأخرج معك فأمرَّض مرضاكم، لعل الله يرزقني الشهادة فقال لها: ابقِ في بيتك فإنَّ الله يرزقك الشهادة.[17] ، وصدقت نبوءة النبي - صلى الله عليه وسلم -، إذ كان لها غلام وجارية فقاما إليها ذات ليلة فقتلاها، فلمَّا أصبح عمر قال والله ما سمعت قراءة خالتي أم ورقة البارحة، فدخل الدار فإذا هي ملفوفة وملقاة جانب البيت فقال صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .[18]

امتدت هذه الشجاعة إلى المشاركة في الغزوات والحروب ولم يقتصر دورهنَ في مُداواة الجرحى وسقاية الماء فقط بل امتد إلى المشاركة في الحرب – أيضًا- . وبلغت الشجاعة ببعضهنَ ذروتها حتى سبقن بها بعض الرجال؛ فالسيدة صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وأمها هاله بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة أخت حمزة بن عبد المطلب لأمه [19] أسلمت ولا خلاف في إسلامها كانت ذات قوةٍ وشجاعةٍ نادرةٍ وشهد لها ذلك.[20] ، وقد شاركتٍ السيدة صفية في غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبلغت هذه السيدة من الشجاعة والإقدام، حيث كانت أول سيدة مسلمة تقتل رجلًا من المشركين فقد صاحبتِ المسلمين في غـــزوة الخندق وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا خرج للقتال وضع النساء والأطفال في حصن حسان بن ثابت، ويقول ابن سعد لأنَّه من أحصن الحصون في المدينة ، وجاء رجل يهودي إلى الحصن يستمع ويتخير فقالت صفية بنت عبد المطلب لحسان انزل إلى هذا اليهودي فأقتله فكأنه هاب ذلك[21] وقال: (يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا) قالت صفية: فلمَّا قال هذا احتجزت وأخذت عمودًا ونزلت إليه فضربته

بالعمود حتى قتلته ، وقد شاركت في معركة أحد (3 هـ / 624 م) [22]. وأسهمت في غمار المعركة وحملت بعدها رمح تضرب به وجوه الناس، وهي تقول انهزمتم عن رسول الله ، وكان قد استشهد حمزة فحزنت عليه حزنًا شديدًا وأرادت أن تذهب لترى شقيقها، ولكن الزبير بن العوام ولدها منعها بأمر من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكنه فشل في ذلك فقالت له: (إنَّه بلغني أنَّه مثّل أخي وذاك في الله فما أرضانا بما كان في ذلك لأصبرن واحتسبه إن شاء الله)، فقال - صلى الله عليه وسلم - : خل سبيلها فأتت إليه واستغفرت له ثم أمر به فدفن عام (3هـ / 624 م).[23] ، وقد شهدتِ السيدة صفية - أيضًا - غزوة خيبر (7هـ / 628 م) مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، التي حطم فيها الرسول حصون اليهود وعاد منتصرًا. وقد روتِ الكثير من الأحاديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعاشتِ السيدة صفية إلى أن أدركت خلافة عمر بن الخطاب، وتوفيت في سنة عشرين من الهجرة (20هـ / 640 م) ولها من العمر ثلاثة وسبعون عامًا ودُفنت بالبقيع.[24]

وتلك أم عمار الأنصارية، وهي نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية المازنية، وكانت من كبار الصحابيات رضوان الله عليهن، وقد غزت كثيرًا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تمرِّض المرضي وتداوى الجرحى، ولها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحاديث أخذها عنها الرواة [25]. وشهدت أم عمارة أحد والحديبية وخيبر وحنين ويوم اليمامة، وقد أبلت في غزوة أحد بلاء حسنًا هي وابنها عبد الله بن زيد وزوجها زيد بن عاصم، وجرحت اثنا عشر جرحًا بين ضربات بالسيف والرمح [26]. وعندما وصل الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى بيته سأل عن سلامتها وسر عندما علم أنَّها بخير وقال: (ما التفت يمينا ولا شمالًا إلَّا وأنا أراها تقاتل دوني وأنَّ مقام هذه المرأة اليوم خير من مقام فلان وفلان).[27] ، وعندما ظهر مسيلمة الكذاب * باليمامة أرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - رسولًا من قبله وهو حبيب بن زيد بن أم عمارة ، بكتاب كي يعود إلى رشده وينتهي ممَّا هو فيه من معصية وادعاء النبوة الكاذبة ، فما كان من مسيلمة إلَّا أنَّه عذَّب حبيب بن زيد بن أم عمارة رسول النبي - صلَّى الله عليه وسلم- ، ولم يراع حتى ما تعارف عليه الناس في ذلك العصر من سلامة الرسل ، وقام بتقطيع أوصاله وعذبه حتى استشهد لأنَّه أبى أن يعترف أنَّ مسيلمة هو رسول الله ، وبلغ أم عمارة ما أصاب ولدها فاحتسبته عند الله شهيدًا، وبعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في العام (11هـ / 632 م) أعــدّ الصديق أبوبكر الجيوش لحروب الردة فشاركت أم عمارة في حرب مسيلمة الكذاب باليمامة

وأُصيبت بالجراح وقطعت يدها أثناء الحرب، وتحقق النصر للمسلمين فعلًا ، وقتل وحشي بن حرب مسيلمة الكذاب، وعمد المسـلمون إلى تضميد جراح أم عمارة ورعايتها. وبعد انتهاء الحروب خصَّها أبوبكر برعايته وزيارته وكان عمر بن الخطاب - أيضًا - يخصها بالرعاية الفائقة، ويقول: إنَّها دافعت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، أفلا تستحق الرعاية من خلفاء رسول الله.[28]

أمَّا أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام، وهي العميصاء أو الرميصاء، فلها منزلة خاصة عند الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، إذ إنَّها أم خادمة انس بن مالك وقد شهدت يوم أحد مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ومعها خنجر [29]، تسقى العطشى وتداوي الجرحى، وكانت من عقلاء النساء، وفضلائهن.[30] ، وفي يوم حنين جاء أبو طلحة يضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أم سليم ويقول يا رسول الله: ألم ترَ أم سليم معها خنجر؟. فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ما تصنعيه به يا أم سليم؟ فقالت: إذا دنا أحد منهم طعنته. وقد شاركت أم سليم والسيدة عائشة (رضي الله عنها) في نقل القرب المملوء بالماء على ظهرها لإفراغها في أفواه القوم ثم تعودان مرة أخرى لنفس الكره.[31]

وقد كان لأم سليم الفضل في إسلام أبو طلحة زيد بن سهل بن حرام، فهي لم توافق على زواجها منه إلَّا بعدما أسلم وكان يعبد الأصنام، فقالت له عندما جاء ليخطبها أما تستحي تسجد لخشب ينبت من الأرض ويجره حبشي؟ فهل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله لا أريد منك صداق غيره. فقال لها أنظر في أمري. ثم جاء إليها بعد ذلك وهو مؤمن بالله ورسوله فوافقت به وزوجها له أنس بن مالك [32]. ولا تقل عنها شجاعة وفضلًا في الإسلام أختها أم حرام بنت ملحان وهي زوجة عبادة بن الصامت، ولمَّا ولى عثمان بن عفان (24_35هـ / 644_655 م) أرسل إليه معاوية بن أبي سفيان يستأذنه في غزو قبرص عام (28 هـ /648 م)، وهي جزيرة في البحر المتوسط ويعلمه بقربها وسهولة غزوها فأرسل له عثمان - رضى الله عنه- أن: إذا ركبت البحر ومعك امرأتك فأركبه أذنا لك وإلا فلا، فركب البحر ومعه امرأته وهي (فاطمة بنت قرظة)، وكان ذلك من عكا وكان عباده بن الصامت معه امرأته وهي أم حرام ويقول ابن عبد الحكم عن هذه الغزوة أنَّ المسلمين كانوا يغزون بنسائهم في المراكب .[33] ، ونزل المسلمون إلى قبرص في الساحل وقد قدمت لأم حرام دابة لتركبها لكي تشارك في الغزو أو المعركة، ولكنها ما إن ركبت الدابة حتى تعثرت بها فقتلتها. وقبرها في قبرص يدعى قبر المرأة الصالحة. وكانت أم حرام أول من استشهد في قبرص من المسلمين.[34]

ويحمل التاريخ بين طياته الكثير من المواقف عن النساء من بينهن امرأة مثال الصبر والثبات والإخلاص للدين الإسلامي وهي : تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رباح بن امرئ القيس الشهيرة بالخنساء ، وتُكنَّى (أم عمرو)، والخنساء لقب غلب عليها وسُميت تماضر لبياض لونها، ومن المعروف عنها التفوق في مجال الشعر، حيث كانت أشعر أهل زمانها وكان أكثر شعرها في رثاء أخيها صخر ومعاوية وأجمع الشعراء أنَّها امرأة لا قبلها ولا بعدها أشعر منها ، وقد برعت في شعر الرثاء [35].

وذهبت مع قومها إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فأسلمت معهم ، ولم تكن الخنساء مجرَّد شاعرة فقط في عصر الرسول، ولكنها ضربت أروع الأمثلة في الشجاعة والصبر فقد شهدت موقعة القادسية (15هـ / 636 م)، وكان معها أربعة من أبنائها فقالت لهم أول الليل " يا بني إنكم أسلمتم وهاجرتم مختارين والله الذي لا إله غيره أنكم لبنو رجل واحد وبنو امرأة واحدة ، وقد تعلمون ما أعــد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ويقول الله - عز وجل- : **(يَا أَيُّهَا الَّذِيــنَ آمَنُـــوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** [36] فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين واذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى على سياقها وجللت نارًا على أوراقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عن احتدام ضيئها، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة ".[37] ، ولما أصبح اليوم التالي خرج بنوها قابلين لنصحها فتقدموا وقاتلوا وهم طالبين إحدى الحسنيين أما النصر أو الشهادة وأبلوا بلاء حسنًا، واستشهد الأربعة رحمهم الله، فلمَّا وصل للخنساء خبر وفاتهم قالت: (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجـــو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته، واحتسبهم عند الله راضية مرضية ووهبتهم الأربعة في سبيل الإسلام. وكان عمر بن الخطاب يعطيها أرزاق أولادها الأربعة عن كل منهم مائتا درهم حتى توفى رحمة الله [38].

وقد غزت أم زياد الأشجعية مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم خيبر وقالت: كان معنا دواء نداوي به الجرحى وتناول السهام، ونسقى الرجال في الحرب. فلما فتح الله على الرسول خيبر قسم لنا كما قسم للرجال [39]. وفي حديث الربيع بنت معوذ قالت: كنا نغزو مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فنسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة.

وكانت كعيبة بنت سعد الإسلامية التي بايعت الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد الهجرة لها خيمة تداوي المرضي والجرحى فيها وهي التي كانت تداوي سعد بن معاذ حينما رمي يوم الخندق حتى مات وشهدت كعيبة يوم خيبر مع رسول الله.[40]

أيضًا كانتِ المرأة في صدر الإسلام تقوم مقام الحارس على الأعداء فتلك مارية مولاة جبير بن أبي أهاب التميمي، وكانت قد حبس في بيتها خبيب بن عدى وهو قاتل الحارث بن عامر يوم بدر أسيرًا.[41]

ولم يختلف دور نساء المسلمين في عهد خلفاء النبي - صلى الله عليه وسلم - عنه في عهد رسول الله؛ إذ ظلَّت تجاهد في سبيل الله دفاعًا عن الدين الإسلامي والعقيدة، وبرز ذلك خلال غزوات المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه سلم، ففي يوم مرج الصفر في العام (14هـ / 635 م) استشهد خالد بن سعيد بن أمية ، ويكنى أبا سعيد وكان قد تزوج في الليلة التي سبقتِ المعركة بأم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومي وأمها فاطمة بنت الوليد أخت خالد بنت الوليد، وكانت امرأة عكرمة بن أبي جهل قبل ذلك فلما بلغها استشهاد زوجها في مرج الصفر انتزعت عمود الفسطاط فقامت به فقتلت يومئذ سبعة، وسمى هذا المكان بقنطرة أم حكيم [42]، ويقول الإمام البلاذري إنَّ نساء المسلمين قاتلن قتالًا شديدًا في معركة اليرموك في العام الخامس عشر للهجرة (15هـ / 636 م).

وفي خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (24 - 35 هـ / 644 _ 655م) ظهر دور زوجته السيدة نائلة بنت الفرافصه جليًّا واضحًا، وكانت نائلة أخت زوجة والي الكوفة في خلافة عثمان وهو سعيد بن العاص *، وكانت نائلة حليمة وهادئة تحفظ كتاب الله وتعمل به وفى هذا الوقت كانتِ الدولة خضم متلاطم فكان والي مصر يواصل فتح إفريقية ومعاوية يجهز الأساطيل لغزو قبرص. وسعيد بن العاص يجهز على ما بقي من دولة الفرس، وبعد فترة ليست بطويلة بدأ ما يسمّى بالفتن التي أطاحت بعد ذلك بالخليفة وانتشرت في إنحاء الدولة الإسلامية.

وقال على لعثمان : اعتزل فقال له لا أخلع قميصا ألبسنيه الله، ووصلتِ الفتنة إلى المدينة وأحاط الثوار بعثمان في بيته وهوى بحجر ضخم على رأس عثمان، ولكنه لم يمت ووقف الحسن والحسين يحمون جسده واقترحت عليه نائلة الهرب ولكنه رفض وقال : (إن لم يكن هناك مفر من الموت فما أحقه بجوار رسول الله) [43] وازداد الحصار حول الخليفة وأحاط الثوار به في منزلة وضربوه بالسيوف وهو صائم والمصحف في حجرة ، وضربه الغافقي بحديد معه وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف

واستقر بين يديه [44]. ودخل سودان بن حمزان فسلَّ سيفه وهوى به على عثمان وقد سالت الدماء على المصحف، وجاء ليضربه الضربة القاضية فتلقت نائلة الضرب بيدها وأصاب السيف يدها فقطع أصابعها [45] وكانت هذه هي الأصابع التي علقها معاوية رضى الله عنه على منبر الشام مع قميص عثمان المخضب بدمائه.[46]

وذكر المسعودي أنَّ عمر بن الحمق وثب على صدر عثمان وكان معه رمح فطعنه تسع طعنات وأجهز عليه، ومال عليه عمير بن ضابي بالسيف في أحشائه، وأراد بعضهم قطع رأسه ولكن نائلة وقفت رغم الألم والنزيف مكونة بجسدها حاجزًا فوق وجهة المشجوج وقد حاولوا زحزحتها وأخذوا يضربونها بالنعال ممزقين ثيابها ولكنها ظلت صامدة حتى خرجوا [47]. وكان ذلك في 18 ذي الحجة سنة 35هـ. وكانت نائلة مستعدة لتقديم حياتها فداء لزوجها الخليفة وللدولة الإسلامية.

في ضوء ما سبق يتضح لنا أنَّ النساء لعبت دورًا بارزًا على عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، ولم يتغير هذا الدور على عهد الخلفاء الراشدين، فكانوا في الحروب والمنازل مثالًا يُحتذى به في الشجاعة والجرأة والإقدام.

دور المـــــــرأة في الحيـــــــاة الاجتماعيـــــــــة:

كانت المرأة تقوم بكل ما يتطلبه البيت من عمل، فهي مطالبة بإعـــداد الطعام، ويقول العقاد: " فالمرأة تشتغل بإعداد الطعام منذ طبخ الناس طعامًا قبل فجر التاريخ، وتتعلمه منذ طفولتها في مساكن الأسرة والقبيلة، وتحب الطعام، وتشتهيه، وتتطلب مشهياته، وتوابله في أشهر الحمل خاصة، كما تتطلب المزيد منه في أيام الرضاع، وصناعة التطريز وعمل الملابس كصناعة الطهي" [48]. ويروى ابن حجر: ((أنَّه لما عرس أبو أسيد الساعدي، دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، فما صنع لهم طعامًا ولا قرَّبه إليهم إلا امرأته أم أسيد، بلت تمرات في تور[49] من حجارة من الليل، فلمَّا فرغ النبي - صلى الله عليه وسلم - من الطعام أماثته)).[50]

وتقوم المرأة بإعداد الخبز، وما يُوجبه ذلك من طحن الحبوب، ونخله، وعجنه، وخبزه، كما أنَّ عملية الخبز تتطلب إحضار الوقود من حطب، ومخلفات الدواب. وكانت تخرز القرب، وتدبغ الجلود، وتحضر الماء من منبعه، وتقوم بنظافة بيتها، فعن أسماء بنت أبي بكر (ر) قالت: تزوجني الزبير، وماله في الأرض مال، ولا مملوك، ولا شيء غير ناضح [51]، وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه، واستسقي الماء، وأخرز غربه [52]، واعجن، ولم أكن أحسن الخبز، كانت تخبز لي جارات من الأنصار، وكن نسوة صدق، وكنت انقل النوى من ارض الزبير على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ [53]، حتى

أرسل إلى أبوبكر بعد ذلك بخادم، فكفتني سياسة الفرس [54]. ويـــــروي صاحب حلية الأولياء: إنَّ عليا بن أبي طالب قال: **أَلَا أُخْبِرُكَ عَنِّي وَعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؟ كَانَتْ أَكْرَمَ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ زَوْجَتِي فَجَرَتْ بِالرَّحَى حَتَّى أَثَّرَ الرَّحَى بِيَدِهَا، وَاسْتَقَتْ بِالْقِرْبَةِ حَتَّى أَثَّرَتِ الْقِرْبَةُ بِنَحْرِهَا، وَقَمَّتِ** [55] **الْبَيْتَ حَتَّى اغْبَرَّتْ ثِيَابُهَا، وَأَوْقَدَتْ تَحْتَ الْقِدْرِ حَتَّى دَنِسَتْ ثِيَابُهَا، فَأَصَابَهَا مِنْ ذَلِكَ ضُرٌّ"** .[56]

وكانت المرأة تقوم على خدمة ورعاية والديها وزوجها، ومن ذلك ما يرويه ابن أبي العون: من أنَّ امرأة من العرب برَّت أباها في كبره حتى كانت تحمله على ظهرها، فمرَّت بعمر بن الخطاب (ر)، فقال لها: من هذا؟ قالت أبي، قال: لو أبقيته في البيت، قالت: إنَّه كالصبي إذ جاع صغا [57]، وأنا أكره أن ادعه في المنزل فيجوع، فلا أعلم به، وأنا أصغر ولده، وأنَّ له لمائة سنة، وأني لبكر قد أدر الله ثديي لبنا، فإذا جاع أرضعته من ثديي، قال عمر لأصحابه: أترون هذه بلغت برَّ أبيها؟ قالوا: نعم، قال عمر: نعم، فقالت: يا أمير المؤمنين، ما بلغت بره، لأنَّي كنت في مثل حاله صغيرة يتمنَّى بقائي، وأنا أتمنى موته، فقال عمر: أنتِ افقه من عمر[58]. ويروى عن حصين بن محصن الأنصاري قوله: ((**إن عمة له أتت النبي- صلى الله عليه وسلم - في حاجة لها، ففرغت من حاجتها، فقال لها: أذات بعل أنت؟ قالت: نعم قال: فكيف أنت له؟ قالت: ما الواه** [59] **إلا ما عجزت عنه، قال: انظري أين أنت منه، فإنه جنتك ونارك**)) [60]. ومثلها لزوجها أسماء بنت عميس، فعن قيس بن أبي حازم، قال: دخلنا على أبي بكر- رضي الله عنه - في مرضه، فرأيت امرأة بيضاء موشومة اليدين[61] تذب عنه، وهي أسماء بنت عميس.[62]

وقد قامتِ المرأة بمهنة القبالة، وهي من الأعمال التي فرضت نفسها على المرأة، واختصت بها آنذاك دون الرجل، فهي ترعى شؤون الحامل، وتقدم لها النصح قبل الولادة، وأثناء الحمل، تساعدها على الولادة بتدوير المولود [63]، وتقوم بكل ما يلزم المولود والوالدة بعد الولادة مباشـــــرة.

ومنهن من كانت تعمل ماشطة، من ذلك أنَّ أم سلمة سمعت النبي- صلى الله عليه وسلم - يقول على المنبر وهي تمتشط، أيُّها الناس، فقالت لماشطتها: كفي رأسي [64]. وكانت أم زفر ماشطة للسيدة خديجة.[65]

ومارستِ المرأة عملية تزيين وتقيين العرائس لأزواجهن، من ذلك أم رعلة القشرية التي جاءت النبي - صلى الله عليه وسلم - وسألته : (يا رســول الله إني امرأة مقينة أقين النساء وأزينهن لأزواجهن، فهل هو حوب [66]، فاثبط عنه [67]، فقال لها: يا أم رعلة :

قنينهن وزينهن إذا كسدن) [68]. وقد وكَّل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أم سليم الأنصارية: أن تقين وتزين له جاريته اليهوديــة صفية بنت حيي بن اخطب، فزينتها ومشطتها وطيبتها للعرس، وأعانتها في ذلك أم سنان الأسلمية [69]، وقالت أم سنان: (وكنت فيمن حضر عرس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بصفية، مشطناها، وعطرناها) [70] وفي حديث عائشة - رضي الله عنها - كان لها درع ما كانت امرأة تقين بالمدينة إلَّا أرسلت تستعيره، وتقين لزفافها.[71]

وعملت المرأة بالرعـــــي ، فحدثت سلامة بِنْتِ الْحُرِّ الظبيـــــة فقالت: عَنْ سَلَّامَةَ بِنْتِ الْحُرِّ، قَالَتْ: مَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بُدُوِّ الْإِسْلَامِ وَأَنَا أَرْعَى، فَقَالَ: " **يَا سَلَّامَةُ، بِمَ تَشْهَدِينَ؟» قُلْتُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا** " [72]

ولم تتوانَ المرأة عن عيادة المرضى، ومن الأمثلة على ذلك: عيادة أم مبشر بنت البراء بن معرور كعب بن مالك، لما حضرته الوفاة، فإنَّها دخلت عليه، وقالت: يا أبا عبد الرحمن، اقرأ على ابني السلام (تعني مبشرا)[73]. وعادت عائشة رضي الله عنها - في المدينة أبا بكر بلال - رضي الله عنه - لما وعكا، قالت: فدخلت عليهما، فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟.[74]

وقد أسهمتِ المرأة بأعمال البر والإحسان، ومساعدة الفقراء والمعوزين في مجتمعها، ومن أمثلة ذلك: أم شريك الأنصار، إذ كان ينزل عليها الضيفان فتنفق عليهم ابتغاء وجه الله [75]. وعن أم ذرة، قالت: بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال في غرارتين يبلغ مائة ألف، فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة، فجعلت تقسم بين الناس، فلمَّا أمست قالت: يا جارية، هاتي فطري، فقالت أم ذرة: يا أم المؤمنين، أما استطعت فيما انفقتي أن تشتري بدرهم لحمًا تفطرين عليه؟ فقالت: لا تعنفيني، لوكنت اذكرتني لفعلت [76]. وكانت زينب بنت جحش أم المؤمنين - رضي الله- امرأة صناعًا، كانت تعمل بيدها، تدبغ، وتخرز، وتتصدق في سبيل الله [77]. وكانت تقوم المرأة ببعض الأعمال التطوعية، فيروي البخاري أنَّ امرأة سوداء كانت تقيم (تكنس) المسجد[78] .

دور المرأة فـــــــي الحياة الثقافيـــــــــــة :

أ – **دور المرأة في العلوم الدينيـــــــة :** امتازتِ المرأة المسلمة بتواضعها وأمانتها العلمية، ووعيها بالسنة، فعن ابن شريح بن هانئ قال: (سألت عائشة - رضي الله عنه - عن المسح على الخفين، فقالت: آتِ عليا فإنَّه اعلم بذلك مني) [79]. وعن وعيها بالسنة ما يروي عن أم عطية الأنصارية، فعن حفصة قالت: كن نمنع عواتقنا[80]، أن يخرجن

في العيدين، فلما قدمت أم عطية سألتها: أسمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ قالت: بأبي نعم سمعته يقول: تخرج العواتق وذوات الخدور[81] والحيض، وليشهدن الخير، ودعوة المؤمنين، وليعتزل الحيض المصلى، قالت: حفصة: فقلت: الحيض؟ فقالت: أليس تشهد عرفة وكذا وكذا) [82].

وقد استدركتِ المرأة على كبار الصحابة – رضي الله عنهم - ومن أمثلة ذلك: عائشة أم المؤمنين، إذ ألف بدر الدين الزركشي كتابًا أسماه (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة)، جاء في مقدمته (هذا كتاب أجمع فيه ما تفردت به الصديقة) - رضي الله عنها - أو خالفت معه سواها برأي منها، أو كان عندها فيه سنة بينة أو زيادة علم متقنة، أو أنكرت فيه على علماء زمانها، أو رجع فيه أجلة من أعيان أوانها، أو حررته، أو اجتهدت فيه من رأي رأته أقوى) [83]. وممَّن استدركت عليهم : عبد الله ابن عمر، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعمر بن الحطاب، وغيرهم [84]. وممَّا استدركته على عمر - رضي الله عنه - أنَّ عمر لمَّا أصيب دخل عليه صهيب يبكي، فقال له عمر: يا صهيب، أتبكي عليّ وقد قال رسول الله إن الميت ليعذب ببعض بكاء أهله عليه، قال ابن عباس - رضي الله عنه - فلمَّا مات عمر - رضي الله عنه - ذكر ذلك لعائشة ، فقالت: رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: إن الله ليزيد الكافر عذابًا ببكاء أهله عليه، وقالت: حسبكم القرآن [85]. ومثلها فاطمة بنت قيس[86].

ومن المحدثات: عائشة – رضي الله عنها - التي تُعدُّ من كبار المحدثين، وحفاظ السنة النبوية الشريفة، ويذكر الزركشي: أنَّه حمل عنها ربع السنة الشريفة [87]، وهي من الرواة المكثرين [88]، وقد بلغ مجموع ما روته من أحاديث[89] ((2210))' اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين حديثًا، وانفرد مسلم بتسعة وستين حديثًا [90]. ونتيجة لمكانتها عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وملازمتها له، واهتمامها وسؤالها له - صلى الله عليه وسلم - انفردت برواية أحاديث كثيرة لم يروها غيرها [91]، إذ كانت - صلى الله عليه وسلم - لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلَّا راجعت فيه حتى تعرفه [92]. وقد كانت حجرتها ملتقى لطلاب العلم، ولم تكن بالتي تضن بشيء من العلم على طلابها، حيث وصل عدد الرواة عنها إلى مائة من صحابة وتابعين ونساء وموال [93]، وكانت تحافظ على رواية الحديث

باللفظ لا بالمعنى، وقد أرسلت عروة بن الزبير إلى عبد الله بن عمرو بن العاص - صلى الله عليه وسلم - لتتأكد من ضبطه لألفاظ حديث ما ، وصحة روايته، ولمَّا أعادت عليه السؤال مرة أخرى بعد سنة تقريبًا، قالت: ما أحسبه إلَّا صدق، أراه لم يزد فيه شيئًا ولم ينقص.[94]

ومنهن: أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنه - ، وقد روت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ((58))حديثًا، اتفق البخاري ومسلم على أربعة عشر حديثًا منها، وانفرد البخاري بأربعة، وأنفرد مسلم بمثلها [95]. روى عنها أبنائها عبد الله، وعروة، وحفيدها عبد الله بن عروة، وابن العباس، وأبو واقد الليثي ، وصفية بنت شيبة، وغيرهم [96]. ومنهن أم سلمة أم المؤمنين - رضي الله عنها - إذ يبلغ مسندها ((378)) حديثًا، اتفق البخاري ومسلم لها على ثلاثة عشر حديثًا، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر [97]، وأم هانئ فاختة بنت أبي طالب، وقد روت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ((46))حديثًا، وروى عنها بعض الصحابة، وبعض التابعين [98]، وأم عطية الأنصارية [99]، وأم ذرة مولاة عائشة [100]، وأسماء بنت يزيد بن السكن [101]، وغيرهن.

أمَّا فــي مجال العمل الفقهي ، فللمرأة المسلمة مساهمتها الفاعلة ؛ إذ تُعدُّ عائشة - رضي الله عنها - رائدة كبار الصحابة المجتهدين ، حاملة لواء العلم والمعرفة ، يأيتها كبار الصحابة- رضي الله عنهم - يسألونها ما أُشكل عليهم، فتجيبهم عمَّا سألوه، ويستفتونها فتفتيهم، فعن مسروق [102] قال: (رأيت مشيخة من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأكابر يسألونها عن الفرائض) [103]، وعن أبي موسى الأشعري قال: " ما أُشكل علينا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث قط، فسألنها عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا)) [104]. فعن أبي سلمة قال : (**ما رأيت أحدا اعلم بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا أفقه في رأي إنْ احتيج إليه، ولا أعلم بآية فيما نزلت، ولا فريضة من عائشة**).[105] ، ومن الفقهيات – أيضًا- : زينب بنت زيد بن ثابت، وقد استشهد بها البخاري في الحيض [106]. وأم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها - فعن أبي سلمة رضي الله عنها- قال: جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس عنده، فقال: أفتني في امرأة ولدت بعد زواجها بأربعين ليلة ، فقال ابن العباس: آخر الأجلين، قلت أنا : (**وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**) [107]، قال أبو هريرة : أنا مع ابن أخي (يعني أبا سلمة)، فأرسل ابن عباس غلامه كريبا إلى أم سلمة يسألها، فقالت : قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حُبلى، فوضعت

بعده بأربعين ليلة، فخطبت، فأنكحها رسول الله – صلى الله عليه وسلم - وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه - .[108]

ب – دور المرأة في الحياة الأدبية :

أولًا ـ الشـــــــعر : إنَّ الذي يلحظ أنَّ الشعر قد تراجع مع البعثة المحمدية عمَّا كان عليه قبل الإسلام، ولعل ذلك يعود إلى انصراف الناس وانشغالهم بالدين الجديد، وحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف، إضافة إلى انصرافهم إلى حركة الجهاد، ونشر الدعوة، كما أنَّ القرآن الكريم قد بهرهم ببلاغته وروعة أسلوبه، فآثروه على الشعر، وعدلوا عنه إلى الخطابة؛ لاستنهاض الهمم، وتحريك النفوس والخواطر للجهاد، ونصرة الإسلام ، ولكن ينبغي ألا يفهم أنَّ حركة الشعر قد توقفت، إذ أنَّ الخصومة بين قريش والرسول - صلى الله عليه وسلم - قد اشتدت، فراح شعراء قريش يهجون الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويحاربونه باللسان، كما تحاربه قريش بالسنان، وفي مقدمة من هجاه - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن الزبعرى، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص [109]، ولمَّا أشـرف هؤلاء في هجاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال للأنصار: " ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ " ، فانبرى لهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة.[110]

والمرأة المسلمة لم تكن بمعزل عن ذلك ، فهي لسان حال المسلمين، تنافح عنهم بالكلمة إلى جانب السيف، ومن أمثلة ذلك هند بنت أثاثة بنت عبد المطلب، إذ هي ترد على هند بنت عتبة حين ظفر كفار قريش بما أصابوا من المسلمين يوم أحد :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر

فأجابتها بنت أثاثة :

خزيت في بدر وغير بدر يا بنت وقاع[111]وعظيم الكفر
صبحك الله غداه الفجر بالهاشميين الطوال الزهر[112]

ومثلها كانت صفية بنت عبد المطلب، ومن ذلك قولها في الحماسة والفخر :

ألا من مبلغ عني قريشا فغيم الأمر فينا والإمار
لنا السلف المقدم قد علمتم ولم توقد لنا بالغدر نار[113]

لقد نظمتِ المرأة المسلمة الشعر، وتذوقته ، وتمثلت به، وروته ، وكتب الأدب زاخرة بنساء شواعر مجيدات، طرقن شتى أغراض الشعر، منهن عاتكة بنت زيد القريشية، وقد اشتهرت برثائها لأزواجها الثلاثة [114]، وممَّا قالته في رثائها لعبد الله بن أبي بكر :

رزيت بخير الناس بعد نبيهم وبعد أبي بكر وما كان قصرا
فياليت لا تتفك عيني حزينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا[115]

ومنهن قتيلة بنت الحارث، وهي من المحسنات، وقد وصفت شعرها بأنه: ((أكرم شعر موتورة " مفجوعة" وأعفه وأكفه وأصحه)) وقد رثت أخاها ـ وكان قد أمر بقتله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رثاء محزناً، منه :

يا راكبا إنَّ الأثيل[116] مظنة من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية ما إن تزال بها النجائب تخفق
مني إليك وعبرة مفسوحة جادت بدرتها، وأخرى تخنق

ثانيًا ـ النثـــر : لقد كان للإسلام أثره في النثر العربي، إذ أثر القرآن الكريم بألفاظه ومعانيه وأسلوبه في الأدباء العرب، إضافة إلى تأثير الحديث الشريف الذي يأتي بعد القرآن الكريم فصاحة وبلاغة، وحسن بيان، فالنثر قد تنوَّعت ألوانه، ورقَّت ألفاظه، وتعمَّقت معانيه، وتهذَّبت أساليبه.

والمرأة المسلمة، لم تكن بمعزل عن ذلك، إذ ضربت المثل بالفصاحة والبلاغة متأثرة هي الأخرى بروعة أسلوب القرآن الكريم وبلاغته. وكتب الأدب مليئة بنساء أدبيات بليغات، ومن أمثلة ذلك عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها- ، وقد وقفت على قبر أبيها، فقالت: " نضر الله وجهك، وشكر لك صالح سعيك، فقد كنت للدنيا مذلا بإدبارك عنها، وقد كنت للأخرة مُعزا بإقبالك عليها...[117]. ومثلها بالفصاحة والبلاغة عائشة بنت عثمان بن عفان، وقد رثت أباها بعد قتله رثاء مؤثرًا يدل على تضلعها في الأدب، وتملكها ناصيته، فقالت: ((يا ثارات عثمان إن إليه راجعون، أفنيت نفسه، وطل دمه في حرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومنع من دفنه، اللهم ولو يشاء لامتنع، ووجد من الله عز وجل حاكما، ومن المسلمين ناصرًا، ومن المهاجرين شاهدًا، حتى يفيء إلى الحق من صد عنه...))[118].

لقد وصفتِ المرأة فأبانت، ومن أجمل ما وصفت، ما قدمته أم معبد من وصف لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد مر عليها أثناء هجرته إلى المدينة، وبصحبته أبى بكر الصديق - رضي الله عنه - وخادمه، وقد وصفته لزوجها وصفًا دقيقًا، فقالت : (رأيت رجلًا ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة [119]، ولم تزر به صقلة[120] وسيما قسيما ...[121]))[123].

وممَّن عرفن بالفصاحة والبلاغـــــة : خولة بنت ثعلبة [124]، وحفصة بنت عمر[125]، ونائلة بنت الفرافصة زوج عثمان.[126]

واشتهر من نساء العرب خطيبات مفوهات، كان للظروف السياسية، والفتن الداخلية التي عصفت بالأمة بعد مقتل عثمان، والصراع بين علي ومعاوية على الخلافة، إضافة إلى القرآن الكريم الذي أضفى أسلوبه على الخطابة، أثر في إبراز عدد منهن، وتأتي في مقدمتهن: عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها - وخطبت يوم الجمل قائلة: ((يا أيها الناس صه صه [127]، أن لي عليكم حق الأمومة، وحق الموعظة، لا يتهمني إلا من عصى ربه، مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين سحري[128] ونحري ، فأنا أحدى نسائه في الجنة، له ادخلني ربي، وخلصني من كل بضع [129] ، وبي ميز مؤمنكم من منافقكم" .[130]

ومنهن عكرشة بنت الأطرش، وقد خطبت يوم صفين محرضة جند علي على القتال قائلة: (أيها الناس، عليكم أنفسكم، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، إن الجنة لا يرحل عنها من أوطنها، ولا يهرم من يسكنها، ولا يموت من دخلها، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها، ولا تنصرم همومها...).[131]، ومثلها أم الخير بنت خريش[132]، والزرقاء ابنة عدي الهمدانية.[133]

الخاتمـــــة :

بعد أن انتهتِ الدراسة هناك بعض النتائج والحقائق التي يمكن أن نستنتجها أهمها ما يلي :

1 .استطاعت المرأة عبر العصور أن يكون لها مكانة ودور لا يستطيع أن ينكره أحد.

2 .استطاع الإسلام إعلاء شأن المرأة وتكريمها ورد لها الكثير من اعتباراتها التي فقدتها في الجاهلية.

3 .كان للمرأة دور بارزا في عهد الإسلام منذ الوهلة الأولى متمثلًا في السيدة خديجة ووقوفها إلى جانب النبي وانتهاء بالسيدة نائلة زوجة الخليفة عثمان بن عفان- رضى الله عنه.

4 .لم تكن المرأة أم ومربية فقط بل شاركت الرجل كافة أعباء الحياة فكانت سند له أكثر من عب عليه، وهذا واضح وجلي في العديد من المواقف.

5 .قدمتِ المرأة تضحيات كثيرة من أجل نصرة الإسلام فترى ذلك على سبيل المثال لا الحصر بما قامت به الخنساء في زرع المبادئ الإسلامية والتحريض على الجهاد ونصرة الحق، حيث تقدم النصح لأولادها.

6 .اشتهرتِ المرأة بالشجاعة والإقدام والدفاع عن الإسلام وكانت بعض الأمهات، والنساء أشرف من بعض الآباء والرجال حتى في كثير من الأحيان كان الأبناء تنسب إلى أمهاتهم.

7 .كما برزت العديد من الشخصيات المثقفة التي كان لهن دور كبير في رواية الأحاديث وكتابة الشعر والنثر.

8 .وخلاصة القول إنَّ للمرأة دورًا فعَّالًا وأساسيًّا في صنع الحضارة في كافة مناحيها

الهوامـــــــــــش:

القرآن الكريم- :
1 – سورة النساء: آية 124.
2 – سورة النحل: آية 97.
3 – مدنيه وآياتها 176 آية.
4 – مدنية وآياتها 12 آية.
5 – مدنيه وآياتها 13 آية.
6 – مدنيه وآياتها 22 أية.
7 – زينب فواز (زينب بنت علي بن حسن بن عبد الله بن يوسف فواز العاملي)، الدر المنثور في طبقات الخدور، دار ابن خلدون، ص 180.
8 – الترمذي (أبو محمد بن عيسى ت 279 هـ) سنة الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، المكتبة الإسلامية القاهرة. ب. ت حديث رقم 3887، 123.
9 – ابن الأثير (عز الدين بن على بن محمد الحرزى) (555- 630 هـ) أسد الغابة في معرفة الصحابة دار الفكر، بيروت، 1989، ص 6، ص 152.
10 – نور الدين الهيثمي (735 -807) مجمع البحر بن في زوائد المعجمية، تحقيق عبد القدوس محمد بن نذير، مكتبة الرشد، الرياض، ج 9، ص 293.
11 – ابن الأثير: أسد الغابة، ص 152.
12 – ابن هشام (أبو محمد عبد الملك) ت ٢١٨ ه، السيرة النبوية، مصر 1955، ج1، ص 314.
13 – ابن حجر العسقلاني: (شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المصري الشافعي) الإصابة في تميز الصحابة، ج ٤، بيروت، 1853، ص 454.
14 – ابن حجر، نفسه، ص 454.
15 – ابن سعد (محمد بن سعد منبع البصري الزهري) ت 230 ه. الطبقات الكبرى، تحقيق عبد المنعم العريان، ج 6، دار صادر، بيروت، 1994، ص210.
16 – الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 1، ص 360.
17 – ابن الأثير: مصدر سابق، ج6، ص 408.
18 – ابن حجر: مصدر سابق، ج 4، ص 481.
19 – ابن سعد: مصدر سابق، ج 8، ص 27.
20 – العمري (ياسين بن خير الله العمري) ت 1232 ه، الروضة الضيماء في تواريخ النساء، تحقيق رجاء محمود السامرائي، بيروت، 1987، ص 187.
21 – محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، ج 8، ص 27.
22 – غزوة أحد بين المسلمين وقريش وهزم فيها المسلمين وكانت عام (3 هـ /624م) انظر الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص 500 وما بعدها.
23 – بن حجر: الإصابة في تميز الصحابة، ج 4، ص 128 .
24 – ياسين خير الله العمري: المرجع السائق، ص 186.
25 -الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله المعروف بأبن عبد البر النمري القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الطبعة الأولى، 1319، القاهرة، ص 799.
26 – جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال تحقيق د. بشار عواد معروف: مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992، ج 35، ص 372.
27 – الذهبي: مصدر سابق، ج 2، ص 278.
*مسيلمة الكذاب هو مسيلمة بن حبيب من قبيلة بني حنيفة باليمامة وقد أسلمت محل قبيلة في العام العاشر للهجرة ولكنه لم يذهب موهم وظل يحرس لهم متاعهم وأدعى النبوة وقال أشياء يضاهي بها القرآن المنزل

وقدها حاربه أبوبكر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وانتصر غليه وأجهض حركته. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ص 281 وما بعدها .
28 – ابن الكثير: البداية والنهاية ج 2 ص 222، احمد الجدع: نساء حول الرسول، الطبعة الثانية، القاهرة، 1993، ص 123 .
29 – المـــزى: مصدر سابق ص 2210.
30 – ابن سعد: الطبقات الكبرى، ص 310.
31 – أبو الفرج بن عبد الرحمن بن الجوزي: صفة الصفوة – المجلد الأول. تحقيق طارق العريان، الإسكندرية، ص 281.
32 – ابن سعد: الطبقات الكبرى، ص 310.
33 – الطبري: تاريخ الرسل، ج ٤، ص 258.
34 – البلاذري: (أبو الحسن احمد بن يحيي بن جابر بن داود البغدادي البلاذري: فتوح البلدان تحقيق رضوان محمد رضوان، بيروت 1403 ه – 1983 م، ص 158.
35 – ابن الأثير: أسد الغابة، ص 91.
36 – إسماعيل حلمي: المسلمات الأوائل، القاهرة، 1999، ص 96.
37 – سورة آل عمران: آية 200.
38 – ابن الأثير: مصدر سابق، ص 93.
39 – ابن الأثير: أسد الغابة، ص 93.
40 – المصدر السابق، ص 343.
41 – ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 6، ص 212.
42 – ابن الأثير: مصدر سابق، ج 6، ص 262.
43 –البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٥.
☆*سعيد بن العاص وهو سعيد بن العاص بن أمية وولاة عثمان على الكوفة بعد الوليد بن عقبة في العام السابع من ولاية عثمان بن عفان (34هـ). راجع: ابن الأثير، أسد الغابة، ج 2، ص 213.
44 -ابن الأثير: مصدر سابق، ج 6، ص 92، محمد المنسي قنديل: شخصيات حين من الأغاني، القاهرة، 1990، ص 131.
44 –عز الدين بن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق ابن الفدا عبد الله القاضي، المجلد الثالث، بيروت، 1987، ص 261.
45 –السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، الإسكندرية، ص 293.
46 –محمد بن علي بن طباطبا المعروف (بابن الطقطقي) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، القاهرة، 1317 ه، ص 90.
47 –محظ. المنسي قنديل: المرجع السابق، ص 131.
48 -تور: إناء.
49 - أماتته: أذابته.
_ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، د.ط، د. ت، ج 9، ص 251.
٥٠ – ناضح: الجمل الذي يسقى عليه الماء.
50 –اخرز غربه: أخيط دلوه المصنوع من الجلد.
51 - الفرسخ: مقياس قديم من مقاييس الطول، يقدر بثلاثة أميال، الفيروز أبادي: محي الدين محمد بن يعقوب، (ت: 817)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1407 ه / 1987 م، مادة فرسخ.
52 –الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، 1407 ه / 1987 م، ج 5، ص 355.
53 –قمت: كنست.

54 - الأصبهاني: أبو نعيم احمد بن عبد الله، (ت 430 ه)، حليت الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر بيروت، د. ط، د. ت، ج 2، ص 41.
55 - صغى: أمال حنكة أو أحد شدقيه.
56 - ابن أبي العون: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، (ت: 322ه)، الأجوبة والمسكتة، تحقيق محمد عبد القادر احمد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ط، 1983 م، ص 126.
57 - ألوه: ما اقصر في حقة شيئا إلا في شيء عجزت عنه.
58 - ابن الأثير، مصدر سابق، ج 6، ص 429.
59 –موشومة اليدين: منقوشة اليدين بالوشم.
60 - ابن سعد: مصدر سابق، ج 8، ص 283.
61 - مسلم : أبو الحسن بن الحجاج القشيري، (ت 261ه)، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، 1347ه – 1947م، ج1، ص 56 – 57.
62 –ابن الأثير، مصدر سابق، ج 6، ص 333.
63 –حوب: أي إثم.
64 - اثبط عنه: أي ابعد عنه.
65 - ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، 1328ه، ج 4، ص450.
66 - ابن حجر: فتح الباري، ج5، ص 241.
67 - ابن الأثير: مصدر سابق، ج6، ص 145.
68 -ابن حجر: فتح الباري، ج 10، ص 117.
69 –ابن حجر: الإصابة، ج4، ص 465.
70 –ابن سعد: الطبقات، ج 8، ص 67.
71 - الأصبهاني: حلية، ج 2، ص 54.
72 –ابن حجر: فتح الباري، ج1، ص552 -553.
73 –مسلم: مصدر سابق، ج3، ص 175.
74 –عواتقنا: جمع عاتق – وهي التي بلغت الحلم، واستحقت التزويج.
75 –الخدور: جمع خدر، وهو ستر يكون في ناحية البيت، تعقد البكر ردائه.
76 –ابن حجر فتح الباري، ج 1، ص 423.
77 - الزركشي: بدر الدين (ت: 794ه)، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق سعيد الأفغاني، القاهرة، ط. 1390،2ه – 1970م، ص 31 -32.
78 –الزركشي: المصدر نفسه، ص75 – 157.
79 –البخاري: صحيح، ج 1، ص223.
80 –مسلم: صحيح، ج 1، ص 101 -102.
81 –الزركشي: الإجابة، ص59.
82 –المكثر: من زادة أحاديثه عن الألف.
83 –الذهبي: مصدر سابق، ج 2، ص139.
84 - الزركشي: مصدر سابق، ص 40.
85 –الشيخ فايز الدخيل: موسوعة فقه عائشة أم المؤمنين، دار النفائس، د.ط، د. ت، ص 85.
86 –ابن حجر: مصدر سابق، ج 1، ص196-197.
87 –الذهبي: مصدر سابق، ج 2، ص 136- 139.
88 –مسلم: مصدر سابق، ج 16، ص 225.
89 –ابن حزم: أبو محمد علي بن احمد بن سعيد، (ت: 456ه)، جوامع السير وخمس رسائل أخرى، تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد، دار المعارف مصر، د.ط، د. ت، ص 279.
90 –الذهبي: مصدر سابق، ج 2، ص 288.
91 –المصدر نفسه، ج 2، ص210.

92 –ابن حزم: مصدر سابق، ص 280.
93 –ابن حزم: نفس المصدر، ص 280.
94 –ابن حجر: تهذيب التهذيب، بيروت، 1404ه – 1984م، ج 12، ص 494.
95 –ابن حجر: المصدر نفسه، ج 12، ص 428.
96 –الأصبهاني: مصدر سابق، ج2، ص 95.
97 –ابن سعد: الطبقات، ج 8،ص 66.
98 –الزركشي: مصدر سابق، ص58.
99 –الدخيل: موسوعة، ص 87.
100 –ابن حجر: مصدر سابق، ج12، ص512.
101 –الطلاق: 65، (4 م).
102 –ابن حجر: مصدر سابق، ج 8، ص 653.
103 –الذهبي: مصدر سابق، ج 2، ص 289.
104 –الأصفهاني: الأغاني، ج 4، ص 137.
105 –المصدر نفسه: ج 4، ص 137 -138.
106 –الوقاع: الكثير الوقوع الدنايا.
107 –ابن الأثير: مصدر سابق، ج 6، ص288.
108 –كحالة: أعلام النساء، ج 2، ص 345.
109 –ياسين الخطيب: ياسين خير الله العمري، (ت: 1232ه)، الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، تحقيق: رجاء محمود السامرائي، بغداد، د.ط، 1386 ه – 1966م.
110 –ياسين الخطيب: المصدر نفسه، ص 192- 193
111 –الأثيل: موضع قرب المدينة بين بدر ووادي الصفراء، الفيروزآبادي، القاموس، مادة أثل.
112 –ابن طيفور: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، (ت 280 هـــ) بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن، وأخبار دواة الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية والإسلام، تحقيق: احمد الألفي، تونس، 1985 م، ص 72.
113 –ثجلة: ضخم في البطن.
114 –صقلة: خفة اللحم.
115 –قسيما: بمعني الحسن أواثر الحسن.
116 –ابن طيفور: مصدر سابق، ص 49.
117 –ابن حجر: مصدر سابق، ج 4، ص 290.
118 –ابن طيفور: بلاغات، ص 30 – 32.
119 –ابن طيفور: المصدر نفسه، ص 70.
120 –صه: اسم فعل امر بمعنى اسكت.
121 –سحري: الرئة.
122 –البضع: النكاح.
123 –ابن طيفور: مصدر سابق، ص7-8.
124 -ابن طيفور، المصدر نفسه، ص 75.
125 –ابن طيفور، المصدر نفسه، ص42.
126 –ابن عبد ربه: احمد بن محمد، (ت: 328هـــ)، العقد الفريد، تحقيق: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـــ -1987م، ج 1، ص 348